## كلنا نفخر بأردوغان

دخل رئيس الوزراء التركى رجب طيب أردوغان، قلوب ملايين العرب والمسلمين، بل وكل العالم، عقب موقفه المتميز من العدوان الصهيونى على غزة، وصدامه مع الرئيس الإسرائيلى شيمون بيريز فى إطار مؤتمر دافوس المنعقد بسويسرا.

ففى إطار ندوة خاصة عقدت على هامش مؤتمر دافوس الاقتصادى بعنوان " غزة نموذج الشرق الأوسط "، تحدث الرئيس الإسرائيلى شيمون بيريز لمدة ٢٥ دقيقة، بينما سمح الأمين العام للأمم المتحدة فى تلك الجلسة، لكل من السيد عمرو موسى الأمين العام لجامعة الدول العربية، ورجب طيب أردوغان رئيس الوزراء التركى بـ ١٢ دقيقة فقط، مما يعطى الدلالة الأولى على تحيز منظمى الجلسة لصالح إسرائيل.

وعلى كل حال، فإن إعطاء الرئيس الإسرائيلى وقتاً أطول من غيره، ليس هو الدلالة الوحيدة، ولكن السماح له بالدفاع وتبرير قتل أهالى غزة أمام زعماء العالم - المحترمين - هو الدلالة الأهم، ذلك أنهم صفقوا لبيريز بعد أن سمعوا تبريراته الفجة لقتل الأطفال والنساء فى غزة، مما أثار حفيظة الرئيس التركى رجب طيب أردوغان، الذى قال إن إسرائيل تعرف كيف تقتل البشر، وإنه من المحزن أن يصفق الزعماء لموت الكثيرين!!. وتدخل مدير الجلسة، فمنع أردوغان من الكلام، فغضب أردوغان وانصرف من المؤتمر وعاد إلى بلاده.

ومن الغريب أن السيد عمرو موسى رئيس جامعة الدول العربية كان حاضراً، ولم يرد ولم يغادر الجلسة احتجاجاً، فهل إحساس الأتراك بالفلسطينيين أقوى من إحساس العرب؟ وهل إحساس رئيس الوزراء التركى بالتعاطف مع غزة أقوى من إحساس الأمين العام لجامعة الدول العربية؟!

ومن البديهى أن هذا الموقف، ومن قبله عدة مواقف للسيد رجب طيب أردوغان

فى موضوع غزة، قد جعلته بطلاً فى عيون العرب والمسلمين، بل وكل أفراد العالم، وليس غريباً بالطبع أن تحتشد عشرات الألوف لاستقباله فى مطار أنقره فى جو بارد جداً وفى ساعة متأخرة من الليل، وكذا خروج المظاهرات فى غزة حاملة صور أردوغان معتبره إياه بطلا دافع عن فلسطين وعن غزة حين غاب الزعماء العرب الذين لم يفعل واحد منهم عشر ما فعله أردوغان مع العالم.

أيعنى أنه إذا كانت هناك توازنات تحول دون قيام الزعماء العرب بواجبهم تجاه غزة فإن تركيا بدورها لها توازنات وعلاقات دقيقة جداً، وبالذات السيد رجب أردوغان له توازنات أدق لأن سيف الاتهام بالإسلامية سلط على رقبته فى بلد مثل تركيا يمنع دستورها التعبير عن الدين سياسياً، وكان حزب أردوغان معرضا قبل عام واحد للحل وحبس أردوغان بتهمة الانحياز إلى لبس الحجاب مثلا!! وكذا فإن أوساطا يهودية اتهمت أردوغان بالعداء للسامية وهى تهمة خطيرة فى العالم اليوم.

وهكذا فإن توازنات تركيا وتوازنات أردوغان أكبر من توازنات القادة العرب ومع ذلك فإن أردوغان البراجماتى - انحاز إلى المبادئ والقيم الإنسانية، مضحياً بالكثير من المصالح، ودخوله فى الكثير من المخاطر، مما يعكس احتراماً كبيراً للرجل، ويؤكد ثقته فى نفسه وأعتقد أن ثقته بنفسه، وثقل الدور التركى يرجع لأسباب كثيرة، لعل أهمها أن الحكومة التركية حكومة منتخبة أى أنه لا مشروعية شعبية، أما الحكومات العربية فهى حكومات تفتقر إلى الشرعية الشعبية، لأنها جاءت بالوراثة، أو بتزوير الانتخابات، أو بالانقلاب العسكرى.

* * *

## كيف نقضى على الدروس الخصوصية؟

لعل من المعروف الآن، أن الدروس الخصوصية فى المدارس والجامعات أصبحت ظاهرة متفشية، وأن كل الوسائل والطرق التى استخدمتها الدولة فى الحد من هذه الظاهرة قد فشلت، وسواء كان السبب فى تفشى هذه الظاهرة هو نقص أو انعدام الكفاءة التعليمية فى المدارس أو الجامعات، أو كان ضعف مرتبات المدرسين وهيئات التدريس الجامعية، ومن ثم بحثهم عن طريقة لحل مشكلتهم المادية، أو حتى كان السبب فى ذلك طمع وجشع هؤلاء المدرسين والأساتذة، فإن المحصلة النهائية أن الظاهرة موجودة وعلى نطاق واسع، وأنها تشكل عبئاً هائلاً على ميزانيات الأسر المصرية، وبكلمة أخرى أنها تهدر تكافؤ الفرص، وتعطى النجاح والتفوق لمن هو قادر على دفع مصاريف الدروس، وهو أمر غير أخلاقى ويهدم استقرار المجتمع ويعطى الانطباع بأنه لا مكان للفقير أو متوسط الحال فى هذا البلد.

والغريب أن من الممكن ببساطة شديدة حل هذه المشكلة.. وإليكم طريقة سهلة جداً.. فمن الممكن مثلاً عمل كتاب دراسى واحد لكل مادة فى كل مرحلة أو سنة تعليمية، يقوم بإعداده نخبة من الأساتذة ويوزع عائده على جميع أعضاء هيئة التدريس، وتعمم دراسته والالتزام به على الجميع، وهذا يوفر مئات الملايين المهدرة فى تصوير الملازم التى تقوم بها مافيات منتشرة من مكاتب التصوير وغيرها، وكذا كتاب ملحق بالمادة على هيئة سؤال وجواب، مائة سؤال أو أكثر أو أقل فى كل مادة، مجابة إجابة كاملة، وأن يتم الإعلان فى كل وسائل الإعلام أن الامتحان سيكون بالنص من هذه الأسئلة، وأن نماذج الإجابة التى سيلتزم بها المصححون هى نفس الإجابات الواردة فى هذا الكتاب، ومن ثم فإن الطالب سيفهم من الكتاب الأول، وسيعرف الأسئلة التى سيأتى منها الامتحان.

ومرة أخرى أكرر الالتزام الكامل بنص تلك الأسئلة، فلا يكون الأمر مختلفاً بأى قدر من الاختلاف، مثل أن يقولوا إن الأسئلة ستكون متماثلة، أو ستكون شبيهة، أو أنها ستكون جزءا من الامتحان كبر أو صغر، لأن هذا يفتح الباب للوسائل غير التقليدية للدروس والمدرسين الراغبين فى ذلك، اعتماداً على أن الطالب يريد أن يحصل على الدرجات النهائية لأنه يريد تقديراً أو يريد مجموعاً عالياً يحقق له رغبته فى الالتحاق بكلية مرموقة.

وقد يقول البعض إن ذلك سيحول العملية التعليمية من فرصة قياس القدرات والذكاء والاختلافات بين الطلاب التى يحققها نوع غير متوقع من الأسئلة، وهذا صحيح، ولكن ما دامت ظروفنا صعبة وما دام هناك مرض الدروس الخصوصية، فيجب القضاء على المرض أولاً قبل التفكير فى إعطاء الجسم المريض جرعة من الرياضة أو النشاط، لأن الرياضة والنشاط مثلاً لا تكون إلا للجسم السليم، ما دام هناك مرض فالبحث عن العلاج حتى ولو كانت له آثار جانبية هى مهمتنا الأولى.

وفى تلك الحالة، فإن من أراد أن يفهم من الكتاب الأول، ويستوعب أسئلة وأجوبة الكتاب الثانى، فهذا متاح له بدون دروس خصوصية، إذ ماذا ستضيف له الدروس الخصوصية فى هذا الصدد، ومن أراد أن يأخذ دروساً خصوصية بعد ذلك فهذا شأنه ولا بأس عليه، المهم أننا نحقق تكافؤ الفرص، وإعطاء غير القادر - وهو القطاع الأوسع - القدرة على الاعتماد على نفسه، ولعل مجرد الاعتماد على النفس هنا هو قيمة تربوية كبرى تجب أى ميزات أخرى يحققها الامتحان غير المتوقع جزئياً أو كلياً.

ولعل أحد أسباب تراجع كفاءة المصريين هو الاعتماد الكامل على الدروس الخصوصية، لأنها تشوه الشخصية وتجعلها غير صالحة للإبداع وتحمل المسئوليات. مرة أخرى هذه الوصفة بها عيوب، ولكن عيوبها أقل كثيراً من عيوب الدروس الخصوصية، وهى تحقق عدة أهداف كالتالى:

- تحقيق تكافؤ الفرص.
- إلزام أعضاء هيئات التدريس بالالتزام بمنهج موحد فلا يترك الأمر للأهواء الشخصية والمزاجية، ومنها ما هو مرضى بالطبع.
- توفير الأموال والأوقات المهدرة فى تصوير الملازم

وغيرها التى ترتع فيها مافيا معروفة.

- تخفيف العبء عن الأسرة المصرية.
- إلغاء التوتر الذى يسود الأسر والطلاب قبل الامتحانات وأثنائها.

* * *

obeikandl.com

## لماذا فاز أوباما؟!

هل كان فوز باراك أوباما بالانتخابات الرئاسية الأمريكية مجرد تحصيل حاصل، بمعنى أن الأخطاء التي اقترفها الجمهوريون في فترتي رئاسة جورج بوش كانت كفيلةً بالإطاحة بأي مرشح جمهوري، والإتيان بالضرورة بمرشح ديمقراطي، بل وكذلك كونجرس ديمقراطي... هذا صحيح إلى حد بعيد.

أضِفْ إلى ذلك أن الفترة الأخيرة في المرحلة قبل النهائية من الانتخابات جاءت بأزمةٍ اقتصادية طاحنة، كَرَّسَتْ من جديد فشل الجمهوريين، بل وفشل مدرسة عدم تدخل الدولة في الاقتصاد أو الاقتصاد الرأسمالي الليبرالي وَفْقًا لمدرسة كاليفورنيا التي كانت تزعم أن السوق يُعَدِّلُ ويُصَحِّحُ نفسه في تلك الأزمة.

وهكذا فإن الرئيس الأسود قد فاز، وأصبح رئيسًا أَسْوَدَ لبيت أبيض، وهو تَغَيُّرٌ هامٌ ونوعي داخل أمريكا وخارجها، وله تأثيره المباشر وغير المباشر على السياسية الأمريكية.

المسألة إذن يمكن وصفها على أساس أن أي مرشح ديمقراطي كان سيفوز على المرشح الجمهوري، سواء كان أسود أو أبيض، رجلًا أو امرأة، ومن ثم فإن فوز أوباما الحقيقي كان على السيدة هيلاري كلينتون، وهي كانت المعركةَ الأَصْعَبَ بالنسبة له داخل الحزب الديمقراطي ذاته، خاصةً أن جميع القوى والشخصيات الديمقراطية الهامة، ما عدا بعض الاستثناءات، قد ايدت أوباما في معركته مع جون ماكين المرشح الجمهوري.

هل يرجع فوز أوباما رغم كونه أسود، ورغم استخدام بعض الإيحاءات العنصرية ضده أثناء الحملة الانتخابية، سواء داخل الحزب الديمقراطي مع السيدة كلينتون، أو أثناء الحملة الرئاسية مع المرشح الجمهوري.

هل يرجع ذلك إلى أن الرجل يمتلك كاريزما خاصة، وأنّ له جاذبية، وأنه استطاع أن يُحَرِّكَ قطاعاتٍ واسعةً من الجيل الجديد خلفه. كل هذا يمكن أن يكون

صحيحا، ويمكن أيضا أن يكون قد صُنِعَ له من قِبَل أجهزة هامة وقادرة على صنع الكاريزما بالدعاية، والإيحاء بجاذبية الرجل، والمساعدة في حَشْدِ الجيل الجديد خلفه بالوسائل الإعلامية وبالدعم المالي، وهذا كُلُّه لا ينقص من قدرات الرجل الشخصية.

والحقيقة أن تلك الأجهزة، وهي التي تحدد عادة من سيفوز في الانتخابات الأمريكية وجدت ضالتها في باراك أوباما، فَدَفَعَتْهُ وشجعته ومَوَّلَتْهُ، دون أن يدري، أو يدري!!

وكان لذلك أسباب قوية وهامة ومحورية، فالولايات المتحدة كانت تعاني من هزيمتين استراتيجيتين في العراق وأفغانستان، ومشروعها الإمبراطوري قد تعثر، فضلًا عن إحساس تلك الأجهزة بوجود أزمة اقتصادية طاحنة، وأنّ تلك الأزمة لا يمكن تفاديها.

وإذا كان من الضروري تغيير استراتيجية وسياسة الولايات المتحدة، في الخارج والداخل، فإن شخصًا أو رئيسًا عاديًا إذا قام بذلك فإن الجميع في العالم سيقول: هذا اعتراف أمريكي بالهزيمة.. وهو أَمْرٌ له ما بعده على مستوى مستقبل أمريكا وتجرؤ الآخرين عليها، والإحساس بالثقة لدي القوى والشعوب المناهضة لأمريكا.

أما إذا جاء شخص اسمه باراك حسين أوباما، أي ذو جذور إسلامية، وسوداء، رغم كونه أصبح بروتستانتيا، ويحمل القيم الأمريكية التقليدية، فإن صفاته الأولى ستجعله إذا غَيَّر استراتيجية أمريكا هنا أو هناك، ستجعل من الممكن القول أن ذلك لأسباب كان لأسباب أخلاقية، وليس اعترافًا بالأمر الواقع، أو هزيمة أمريكا.

والصفات الثانية، بمعني تبنيه لنفس القيم الأمريكية يجعله في النهاية مثل الآخرين، ويمكن توجيهه حيث تريد الأجهزة الأمريكية الحاكمة، وهو لن يخرج عليها، أو يُحْدِثَ ثورة داخل الإدارة الأمريكية وهكذا تخرج المسألة وكأنها ذات بواعث أخلاقية ومن ثم تفادي إحساس الآخرين بالثقة تجاه أمريكا أو شيوع الإحساس بهزيمة أمريكا لدي شعوب العالم، والمحصلة هي تفادي الآثار الكارثية لهزيمة

أمريكا.

ومن ناحية أخري فإن انتخاب رئيس أسود لأول مرة في تاريخ أمريكا، سيصبح نوعًا من تقديم وجه جديد لأمريكا، فأمريكا ذات السمعة السيئة في العالم، والتي يشعر الجميع بكراهيتها قد تتغير، ومن ثَمَّ لا يجب معاملتها على أساس الممارسات أو الشكل الأول، بل هناك شكل جديد لأمريكا، يصلح أن يكون نموذجا ونبراسًا، وقادرة على تغيير نفسها إذا أخطأت، وهكذا فإن الأجهزة التي دفعت بأوباما إلى الرئاسة أرادت أن تحقق هذه المعاني بمساعدته في الوصول إلى البيت الأبيض، أو بكلمة واحدة، فإن أوباما لا يغسل أكثر بياضًا.

وإذا كانت أمريكا قد هُزِمَتْ، أو على الأقل تعاني من متاعب كبيرة في حربها ضد الإرهاب الإسلامي، وذلك بسبب وجود مدد دائم من المسلمين لقوى الإرهاب، نتيجةَ وجود إحساس لدي المسلمين بأن أمريكا ظلمتهم كثيرا، واستهدفتهم كثيرا، فإن وجود رئيس ذي أصول أسلامية مثل أوباما يمكن أنْ يُخَفِّفَ هذا الأمر، ويُقَلِّل التأييد للقوى الإرهابية الإسلامية داخل صفوف المسلمين، وهو الهدف الأكبر بالطبع في إطار الحرب الأمريكية على الإرهاب،قطاعًا، وإذا كان هناك قطاعات جديدة من المسلمين تنخرط في الإرهاب، فإن كل قوة أمريكا ونفوذها لن تفعل شيئا، وأما إذا تم تخفيف تلك المتابع بإعطاء رسالة للمسلمين بأن الرئيس الأسود ذا الجد المسلم قادِرٌ على التفاهم معهم، وراغِبٌ في ذلك، وليس متغطرسًا ولا جبارًا مثل جورج بوش، فإن الأمر سيختلف كثيرا.

ولهذا.. فاز أوباما!!

* * *

## لماذا يأتي أوباما إلى القاهرة

زيارة الرئيس الأمريكي باراك أوباما إلى القاهرة في ٤ يونيو ٢٠٠٩ التي يخاطب فيها العالم العربي والإسلامي من خلال قلب العروبة النابض وقلعة الإسلام التاريخية الحصينة! ومهد الحضارات وذات الثقل الجغرافي والسياسي والاستراتيجي، لها أسبابها - تحت السطح - وليست كما يروج أو روج البعض بأنها نوع من الاعتراف الأمريكي بمكانة ودور مصر، مكانة ودور مصر حقيقة لا شك فيها، ولكن تلك المكانة وذلك الدور كان معروفاً جداً لدى الجميع، بمن فيهم الإدارة الأمريكية وباراك أوباما ذاته عندما قرر الرجل أن يتخذ من البرلمان التركي منبر لتوجيه رسالته إلى العالم الإسلامي، فما هو إذن السبب الذي استجد ليتخذ أوباما من القاهرة مكاناً لتوجيه رسالة جديدة، هل فشلت الرسالة التركية في تحقيق أهدافها؟ ومن يضمن أن تنجح رسالة أوباما من القاهرة في تحقيق تلك الأهداف.

يجب أن نتأمل المسألة، أو أن نبحث فيما هو تحت السطح، حتى نتخذ الموقف الصحيح أو على الأقل نكون على دراية بما يجري حولنا. لأن أوباما الذي كان يدرك دور ومكانة مصر لا يضحي بظهوره بمظهر المتخلي عن الليبراليين المصريين والعرب ويشوش على ما يزعم من مبادئ حول الحرية، ويعطي الفرصة لمنتقديه باتهامه بالبراجماتية، وينسف كثيراً من مصداقيته حين يدعم نظاماً سياسياً متهماً بالفساد والديكتاتورية ويجعل عاصمته منبراً للحديث للعالم العربي والإسلامي، إلا إذا كان يريد هدفاً آخر أكبر من كل ذلك بالنسبة له أو للمؤسسة الأمريكية صاحبة القرار الحقيقي في واشنطن.

لنعود قليلاً إلى الوراء. عندما نشرت مجلة النيوزويك العربي تحقيقاً عن السيناتور باراك حسين أوباما، الأسود ذو الأصل الإسلامي، وجعلت صورته على الغلاف بالكامل قبل أكثر من عام ونصف على موعد الانتخابات الأمريكية الرئاسية، وجعلت منه أحد المرشحين للانتخابات التمهيدية للحزب الديمقراطي، وليس عيباً أن أذكر أنني وقتها كتبت متوقعاً أن يصبح هذا الرجل أول رئيس أسود لأمريكا، وظللت

متمسكاً بهذا التوقع طوال الحملة الانتخابية التمهيدية للحزب الديمقراطي وكانت موضوعاتي المنشورة في هذا الصدد مثلاً بعنوان أوباما يغسل أكثر بياضاً، رئيس أسود لبيت أبيض وغيرهما، وكان تحليلي في ذلك هو أن المشروع الإمبراطوري الأمريكي قد فشل وأن المؤسسة الأمريكية لا تريد أن يتحول هذا الفشل إلى هزيمة استراتيجية لأمريكا، وأن السبب الجوهري لهذا الفشل هو الحرب الأمريكية على الإرهاب استندت إلى خطاب أمريكي استفز الوجدان العربي والإسلامي، وأعطى المزيد من الزخم لفكرة أنه لا طريق لمواجهة أمريكا وإسرائيل إلا بالعنف، وهذا أعطى مدداً مستمراً من الكوادر والعناصر لحركات المقاومة بكل أطيافها ولمنع وتجفيف منابع هذا المدد ينبغي إجراء عملية غسيل لأمريكا لا يمكن أن تتحقق إلا بصعود شخص قادر على خداع العالم العربي والإسلامي، وكان هذا هو باراك حسين أوباما، ولذا فإن المؤسسة استغلت قدراته الشخصية وذكائه وساعدته أو غضت الطرف عنه في طريقه إلى البيت الأبيض.

أوباما إذن هو رجل المهمات النوعية لدى المؤسسة الأمريكية، فهو الذي يغسل وجه أمريكا القبيح وهو الذي يحقق نوعاً من الحلول الممكنة مع الإيرانيين، وهو الذي يحمي إسرائيل من نفسها ومن حماقات المتطرفين الإسرائيليين الذين وصلوا إلى السلطة في إسرائيل في الانتخابات الأخيرة، وإذا ترك لهم الأمر فإنهم سوف يدمرون إسرائيل بحماقاتهم، كما كاد اليمين الأمريكي المتطرف أن يدمر أمريكا إبان عهد جورج بوش الابن.

تنطلق فكرة المؤسسة الأمريكية والكثير من المفكرين الأمريكيين اليهود وغير اليهود بل والأوروبيين وزعماء سياسيين في أوروبا وأمريكا، بأنه لا بد من إنقاذ إسرائيل من نفسها وأن إسرائيل كدولة تخدم المشروع الغربي لا بد أن تستمر، وأنها مهددة بالزوال بالفعل إذا استمر أسلوب استفزاز المشاعر الوطنية الفلسطينية والقومية العربية والوجدان الإسلامي لأن ذلك سيعطي مدداً كبيراً لحركات المقاومة ومهما كانت الوسائل والطرق فإن العمليات الاستشهادية أو الضرب بالصواريخ

الصغيرة أو وسائل أخرى مستجدة سوف تتزايد ومن الضروري وضع حد لذلك عن طريق نوع من التسوية، وأنه قد ثبت علمياً، أنه لا الجيش الأمريكي أو الإسرائيلي أو كل جيوش العالم قادرة على إنهاء المقاومة، وقد ثبت ذلك عملياً في حرب صيف ٢٠٠٦ في لبنان، وحرب أو مجزرة غزة ٢٠٠٩ وأن الطريق الوحيد المتاح الآن هو إنشاء وطن للفلسطينيين تحت السيطرة الأمنية والاقتصادية والعسكرية الإسرائيلية، تقوم فيه سلطة فلسطينية تكون مهمتها حراسة إسرائيل من المقاومة، وأن يكون ذلك بضمان عربي يحقق الأمر ذاته، على أن تتضافر كل الجهود المعتدلة العربية والفلسطينية والدولية!! في القضاء على الإرهاب وتجفيف منابعه وتحقيق نصر استراتيجي غربي أمريكي إسرائيلي على ذلك الإرهاب، ولذا فإن المؤسسة الأمريكية تعتبر أن حل الدولتين هو أولاً إنقاذ لدولة إسرائيل، وهو ثانياً مطلب ضروري وحيوي للأمن القومي الأمريكي.

أضف إلى ذلك أن الدراسات والمؤتمرات والأبحاث التي قام بها علماء واستراتيجيون في أكثر من مركز بحثي أو جامعة أمريكية أو أوروبية عبرت عن الخوف من تخلي الفلسطينيين عن حل الدولتين لصالح النضال من أجل حقوق متساوية في دولة واحدة وهذا يعني بالنسبة لهؤلاء الباحثين والعلماء والاستراتيجيين نهاية الدولة اليهودية، كما تقول الدكتورة نادية حجاب الباحثة بمؤسسة الدراسات الفلسطينية.

ويقول المفكر الروحاني نديم روحانا جيدا: " إن حل الدولتين طريق لإنقاذ الصهيونية "، ويرى الباحث الفلسطيني الدكتور مازن النجار " أن قيام الدولة الفلسطينية على جزء من فلسطين هو أفضل تجسيد على الأرض لقومية يهودية مصطنعة في الأصل وليس لها في الحقيقة مقومات قومية بقدر ما هي أيديولوجية حصرية عنصرية صراعية طاردة ".

وهكذا فإنه بوضع حقائق الوضع الأمريكي والأوروبي والإسرائيلي أمام المؤسسة الأمريكية، فإن الطريق الوحيد لحل أزمة إسرائيل الوجودية هو حل

الدولتين، وأحد طرق مكافحة الإرهاب أمريكياً هو حل الدولتين، وهذا الحل يحقق بالإضافة إلى ذلك ما يأتي

إلغاء برامج الكفاح الفلسطيني سواء ما كان منها وطنياً أو قومياً أو إسلامياً أو إضعاف مبررات ذلك النضال على الأقل وعزل الحركة الوطنية أو القومية أو الإسلامية في فلسطين عن محيطها العربي والإسلامي وبذلك يمكن خنقها من ناحية وإضعاف الحركة القومية العربية أو الإسلامية الأممية من ناحية ثانية.

أن هذه الدولة تعني التنازل رسمياً وتاريخياً عن ٨٠ % من أراضي فلسطين التاريخية وإلغاء حق العودة وبذلك يكون الأمر أشبه بالولادة الثانية لدولة إسرائيل.

أن الدولة الفلسطينية المقترحة، ستكون مجرد كانتونات عازلة يعيش فيها فلسطينيون بدون أفق عسكري أو سياسي أو اقتصادي تحت سيطرة كاملة من البحر والجو والأرض من الاحتلال الصهيوني مع اشتراط تعاون أمني كامل بين السلطة والكيان الصهيوني، تصبح فيه السلطة شرطة تعمل لصالح الأمن الإسرائيلي مع الأخذ في الاعتبار تغلغل المستوطنات وشبكات الطرق الرابطة بينها والمسارات الالتفافية الأخرى، والحواجز العسكرية والأمنية، والجدار العازل الذي تم إنجاز أكثر من ٨٠ % منه وجاري استكماله حتى عام ٢٠١٠ ويمر هذا الجدار بمسار متعرج حيث يحيط معظم أراضي الضفة الغربية ويعزل مدناً أو مناطق بكاملها بحيث تكون محاطة بالجدار من كل جانب. والمحصلة أن الدولة المقترحة هي كانتونات للفصل العنصري لا أكثر ولا أقل مع نظام اقتصادي كولونيالي ويقعاً متنافرة من المراكز السكانية.

وحينما تقرر المؤسسة الأمريكية أن حل الدولتين هو هدفها فإن على السيد أوباما أن يأتي إلى القاهرة، ويدعو إلى ذلك على أن يظهر الإسرائيليون بمظهر الرفض لهذا الحل سواء عن صدق أو خداع، لأن هذا الرفض يعطي الإدارة الأمريكية الفرصة للضغط على العرب للتنازل عن حق عودة اللاجئين أو لتحقيق نوع من

التطبيع مع كل الدول العربية والإسلامية أو اعتراف المؤتمر الإسلامي بإسرائيل بمجرد الحصول على وعد من أوباما بحل الدولتين، وإظهار أن هناك نوع من التفاهم الأمريكي العربي الإسلامي واتفاق في التصورات على عكس الحكومة الإسرائيلية، ومن ثم يتم الضغط على إسرائيل للقبول بذلك بصعوبة، فيصفق العرب طويلاً للأمريكيين الذين ضغطوا أخيراً على إسرائيل وانتزعوا منها سلاماً فتتحسن صورة أمريكا في عيون العرب والمسلمين، ومن ثم يتم ضرب كل العصافير بحجر واحد.

وهذا التحليل لا يعني بالضرورة أن ينجح على الأرض، نحن نقول فقط أن هذه هي الخطة الأمريكية التي رسمتها المؤسسة الأمريكية للرئيس أوباما لكي يأتي ليبدأ في تنفيذها عن طريق القاهرة في يونيو ٢٠٠٩، وأن هذه الخطة لصالح أمريكا ولإنقاذ إسرائيل من نفسها، ولكن هناك بالطبع فوق ذلك قدر الله تعالى ثم هناك الغباء والصلافة الإسرائيلية التي قد تنجح في الصمود أمام الضغط الأمريكي المتوقع، أو قدرة الإسرائيليين على المراوغة والدخول في تفصيلات بلا نهاية، أو تحدث تغيرات داخل الإدارة الأمريكية ذاتها، أو حتى تحدث تطورات درامية في المنطقة عن طريق إيران أو طالبان باكستان أو الوضع في العراق أو أفغانستان فتطيح بكل المخطط أو تخلط الأوراق من جديد، والله تعالى أعلم.

* * *

## لن تركع غزة!!

لن تركع غزة إن شاء الله، ولن تركع فلسطين، لن يركع الشعب الفلسطيني في غزة، والضفة، والداخل الفلسطيني، لن يركع الأقصى، ولا قبة الصخرة، لن يركع التاريخ والجغرافيا، نعم لن تركع الأحجار ولا الأشجار في كل فلسطين من النهر إلى البحر ومن الجنوب إلى الجنوب، وبرغم يأس المرحلة، فإن تفاؤل التاريخ والمستقبل موجود إن شاء الله.

العدوان الصهيوني على غزة، هو عملية إبادة حقيقية وليست رمزية لأن قتل وجرح ما يزيد على الألف في كل يوم من عدد من السكان يبلغ ١.٥ مليون نسمة هو عملية إبادة حقيقية بحكم دلالة الأرقام والنسب وعدد أيام العدوان الذي لم ينقطع قط، هذه الإبادة يشارك فيها آلة العدوان الصهيوني طبعاً، وأمريكا التي تمد إسرائيل بكل شيء من سلاح العدوان إلى الدعم السياسي والدبلوماسي إلى الدعم الاقتصادي، إلى التحريض المباشر على حماس!!. يشارك فيها بوش وأوباما.

وإذا كانت مشاركة بوش مفهومة فإن أوباما الذي صرح بأن من حق إسرائيل أن تعتدي على غزة بحجة حماية سكانها من صواريخ حماس!! كان يعطي الضوء الأخضر للعدوان، يشارك فيها المجتمع الدولي الذي وقف ويقف متفرجاً لا هياً على إبادة شعب منذ أكثر من ستين عاماً دون أن يتخذ إجراءاً واحداً حقيقياً لمنع ذلك، ووصل الأمر إلى حد أن مذبحة السبت الأسود لم تجد من مجلس الأمن الدولي إلا مناشدة غير ملزمة بوقف النار!!.

من يسكت على ذلك فهو مجرم، لماذا لا تضع الأمور في مكانها الصحيح ونعلن الانسحاب كدول عربية وإسلامية من ملهاة الأمم المتحدة، ونقطع علاقاتنا بأمريكا وإسرائيل على الأقل، يشارك في الإبادة والمذبحة الحكومات العربية ذات اللغة الرخوة أو التواطؤ غير المعلن تجاه هذا العدوان، يشارك فيها الرئيس الفلسطيني محمود عباس الذي جاء إلى القاهرة ليعلن مسئولية حماس عن العدوان، وأنه يريد

حماية غزة وعدم السماح بإبادتها، كيف؟! بتخليصها من حماس!!، وهل كانت حماس هي السبب في معاناة غزة وأهل فلسطين هذا استخفاف بالعقول وتبرير للعدوان ووضع الأمور في غير نصابها، قد يكون لنا ولغيرنا عشرات الملاحظات على أداء حماس ولكن من المتيقن أن معاناة فلسطين وغزة بدأت واستمرت قبل أن تظهر حماس إلى الوجود أصلاً، وقبل أن يتم إطلاق صاروخ واحد من حماس أو غيرها على إسرائيل، ثم ماذا يفعل شعب أعزل تجاه عدوان همجي، أليس من حقه أن يعبر عن وجوده، ولو بصاروخ حتى لو كان كما يقول محمود عباس صاروخ عبثي؟!، أم أن يستسلم للذبح والإبادة ويعلن سروره وترحيبه بالجاني والجزار!!.

إنه عار أي عار أن تصل التبريرات العربية والفتحاوية إلى هذا المستوى من التدني والانحطاط، ولن تغفر الأجيال القادمة هذه الجريمة من الحكام العرب وزعماء رام الله.

كيف يصل الأمر إلى حد تعطيل قوافل الإغاثة من سيناء إلى غزة بأي حجة كانت، ومهما كانت تحفظات حكومة مصر على حماس فإن الأمر لا يمكن أن يكون بهذه الطريقة فالخلاف مع حماس شيء، وقوافل الإغاثة الإنسانية من النقابات والدول والأفراد شيء آخر! تعطيل هذه القوافل دقيقة أو ساعة أو يوم جريمة كاملة الأركان!!.

فاجعة غزة كشفت الجميع، ومن لا يتعلم من الفواجع لن يتعلم أبداً، متى تحرك جماعة الإخوان المسلمون الشارع العربي ضد هذا الأمر، وهي قادرة على ذلك أم التردد والتراجع والوهن قد أصابها هي الأخرى وحتى ولو كان الموقف يستدعي كربلاء إخوانية، فهذا أفضل من التحرك الإخواني الجزئي والمحدود، نقول هذا بمناسبة أن الإخوان هي القوة الأكبر في الشارع العربي، والقادرة فعلاً على تحريك الشارع المصري بطريقة كافية لتغيير موقف الحكومات العربية، ولن نقول أن حماس إخوانية فحتى لو لم تكن حماس إخوانية لكان هذا واجب الإخوان على كل حال.

من لا يتعلم من النكبات لن يتعلم أبداً، يجب أن نتعلم أنه لا أمل في المجتمع الدولي، ولا أمل في الحكومات العربية، ولا أمل في كل الجماعات السياسية العربية الموجودة على الساحة الآن، يجب أن تنفض الجماهير أيديها من كل رموز وقوى المرحلة بحثاً عن رموز المستقبل القادرة على حماية الأمة والدفاع عنها مرة أخرى، وبرغم الآلام الشديدة، والمعاناة التي فاقت كل الحدود، فإن من الضروري استيعاب درس عدم القدرة على المقاومة والإمساك بالسلطة في نفس الوقت، لأننا أمام عدو غادر وقادر، ومن ثم فإن الإمساك بالسلطة يعني إعطائه العناوين الجاهزة لضربها، أما المقاومة خارج السلطة، فإنها تعني عدم قدرة العدو على تحديد الأهداف لضربها بسهولة، ولعل لدينا تجارب طالبان في الحكم وخارج الحكم، وتجارب حزب الله في الصمود لأنه كان خارج السلطة، وبديهي أن الأمر يحتمل الكثير من التعقيدات والتفاصيل ولكن هذا ليس مجاله بالطبع، المهم أن تفكر حماس مرة أخرى في الطريق الصحيح لمواصلة المقاومة بأقل الخسائر. وأن تفكر معها كل المقاومة في فلسطين والعالم، لأن هذه النكبة كاشفة لحقيقة علاقة المقاومة بالبنية الاجتماعية، خاصة في ظروف يكون مستوى تكافؤ القوى مختل تماماً لصالح العدو.

* * *

## ليس بوش بل أمريكا

الحادث الجميل الذى قام به الصحفى العراقى منتظر الزيدى، مراسل قناة البغدادية ضد الرئيس الأمريكى جورج بوش حين قذفه بفردتى حذائه، من ثم دخل التاريخ كرمز عربى عبر عن غضب الملايين من العراقيين ومن العرب ومن المسلمين، بل من كل المستضعفين فى العالم، الذين يعانون من ممارسات أمريكا عموماً وجورج بوش خصوصاً، هذا الحادث يجب أن يحدث الأثر النفسى والمعنوى فى نفوس كل الأحرار والشرفاء، ومن ثم فإن الاهتمام الصحيح فى هذه اللحظة هو منع تطويق الحادث أو تفسيره على غير الوجه الصحيح له، وهل هذا الأثر قد بدأ بالفعل، فعدد من الصحف والقنوات الفضائية ومواقع الإنترنت تحدثت عن الجرائم الأمريكية فى العراق كمبرر للحدث.

وهذا صحيح ولكنها أضافت أنها جرائم جورج بوش، كأن جورج بوش وإدارته شخصيات مقطوعة الصلة بالمؤسسة الأمريكية أو نشاز عليها، ووصل الأمر إلى حد تقديم جورج بوش بأنه التلميذ البليد والابن العاق والشاب المستهتر الذى يجرى وراء المحرمات ويأكل بشراهة ولا يفيق من السكر، بل إن الصحف الأمريكية ذاتها - وجارتها بعض الصحف والقنوات العربية - اعتبرت قذف جورج بوش بالحذاء تجسيدا للاستياء والغضب من سياساته فى العراق.

فإذا حدث أن قام رئيس أمريكى جديد أوباما مثلاً بتغيير تلك السياسات فلا بأس، ومن ثم التقديم لأمريكا مختلفة وكان هذا جزءاً من سماح المؤسسة الأمريكية لباراك أوباما بالفوز بالرئاسة بل دعمه إلى حد كبير فى هذا الصدد، ليقدم أمريكا ليست معادية للمسلمين، وهو ينوى إطلاق خطاب له من تركيا لتحقيق هذا الهدف، وبديهى أن ذلك نوع من الخداع والاستخفاف بالعقول، فجورج بوش أولاً رئيس منتخب، وإذا كان قد قتل مئات الآلاف من

العراقيين ودخل حربا بلا مبرر باعتراف الجميع، فإن الجزء الأكبر من تلك الجرائم كانت فى فترة رئاسته الأولى، مع ذلك تمت إعادة انتخابه رئيسا لأمريكا فى عام ٢٠٠٤ أى بعد عام كامل من غزو العراق وارتكاب الجرائم فيها، ومن ثم فإن المسئولية هى مسئولية أمريكا بالكامل وليس جورج بوش وحده، ولو كانت مسئولية جورج مثلاً - وهذا كلام لا معنى له أصلاً - فلماذا لم تتم محاكمته داخل أمريكا، ولماذا لم يتم صدور قرار باعتقاله من المحكمة الجنائية الدولية على غرار الرئيس السودانى عمر البشير، فى كل الأحوال يجب أن نقول إن ضرب بوش بالحذاء تجسيد للاستياء والغضب من سياسة أمريكا وليس جورج بوش وحده، وأنها تعبير عن الاستياء والغضب من أجل العراق وفلسطين وأفغانستان بل الصومال وغيرها، بل هى صرخة أهل غزة ضد الحصار

* * *

## ما بعد الهزيمة الأمريكية في أفغانستان

قال المفكر الأمريكي المعروف " اليوت كوهين " أن الحرب الأمريكية على العالم الإسلامي - الصحيح الحرب الأطلسية - هي الحرب العالمية الرابعة على أساس أن الحرب العالمية الثالثة هي الحرب الباردة بين المعسكرين الرأسمالي بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية، والاشتراكي بقيادة الاتحاد السوفيتي السابق، وأن تلك الحرب العالمية قد حسمت لصالح المعسكر الرأسمالي، وقد عبر عن ذلك الرئيس الأمريكي الأسبق الراحل ريتشارد نيكسون في كتابه بعنوان " نصر بلا حرب ".

أما الحرب العالمية الرابعة فهي ضد العالم الإسلامي - يسميها الأمريكان الحرب على الإرهاب - وقد اتخذ الأمريكان من حادث ١١ سبتمبر مبرراً وذريعة لتلك الحرب، ولكن الحقيقة أن هذه الحرب قد بدأت قبل أحداث ١١ سبتمبر، فالحرب على العراق مثلاً كان قرارها قد اتخذ قبل أحداث ١١ سبتمبر - بالتحديد في عام ١٩٩٧ - ، حيث قرر اليمين الأمريكي المحافظ الذي صعد إلى السلطة فيما بعد في عام ٢٠٠١ عندما فاز الرئيس الأمريكي " جورج بوش الابن " بالرئاسة واستعد لتلك الحرب قبل أحداث ١١ سبتمبر، على أساس أن تلك الحرب طريقة لتحقيق فلسفة اليمين الأمريكي المحافظ فيما كان يسمى " الإمبراطورية الأمريكية " أو القرن الأمريكي الجديد.

وعلى أساس أن تلك الحرب هي السبيل الوحيد لحل المشكلات الاقتصادية أو أزمة الرأسمالية الأمريكية على حساب الرأسماليات الأوروبية والصينية والروسية واليابانية، وهي الأزمة التي ظهرت فيما بعد في قطاع العقارات والبورصات، وغيرها لأن الحرب على العراق لم تنجح، ومن ثم لم يتم حل أزمة الرأسمالية الأمريكية بل ازدادت المشكلة بسبب نفقات تلك الحرب، أضف إلى ذلك الفشل الأمريكي الذريع في أفغانستان، وفشل الحرب بالوكالة التي قامت بها إثيوبيا ضد الصومال نيابة عن الولايات المتحدة.

وبديهي أن الحرب على العراق لم تكن لها علاقة بحادث ١١ سبتمبر لأنه لم يكن

هناك صلات بين نظام صدام حسين والقاعدة أو طالبان أو غيرها من الأسباب المزعومة أمريكياً أو غربياً لتبرير الحرب على العراق، من ناحية أخرى فإن اعتبار العالم الإسلامي هو العدو الجديد بعد سقوط الاتحاد السوفيتي السابق والمنظومة الاشتراكية كان قد تم التعبير عنه علناً قبل أحداث ١١ سبتمبر بكثير فالسيدة الحديدية مارجريت تاتشر رئيسة وزراء بريطانيا السابقة وهي إحدى رموز الغرب الكبرى وإحدى رموز الرأسمالية الغربية كانت قد قالت عام ١٩٩٥ وعقب تفكك الاتحاد السوفيتي أن من الضروري المحافظة على حلف الناتو لمواجهة العالم الإسلامي والأمر نفسه عبر عنه رئيس المفوضية الأوروبية في ذلك الوقت " جياتي ديميكلس "، والذي أضاف إلى ضرورة المحافظة على حلف الناتو ضرورة السير قدماً في توحيد أوروبا لمواجهة الخطر الإسلامي.

وكان الرئيس الأسبق الراحل " ريتشارد نيكسون " قد قال في كتابه " الفرصة السانحة " أن العالم الإسلامي يمثل خطراً جيوبيوليتيكياً كبيراً على الحضارة الغربية، وأن من الضروري ترويضه وإضعافه!!. وأن من الضروري نشر الرأسمالية والليبرالية وقيمة الحضارة الغربية سلماً أو حرباً في العالم، وبالمثل فإن سياسة الولايات المتحدة في العدوان على أفغانستان ثم العراق ثم الصومال كانت الجزء الحربي في تلك الخطة، والجزء السلمي فيها كانت محاولات الغزو الثقافي والضغط على الدول الإسلامية لتغيير مناهج التعليم أو إلغاء الجامعات والمدارس الدينية أو إنشاء صحف أو قنوات تليفزيونية لتحقيق الهدف الأمريكي في تدجين الإسلام، وتغيير مفاهيمه الرئيسية.

الفشل الأمريكي كان هو العنوان الرئيسي لكل ذلك، ففي العراق نجحت المقاومة العراقية في تعطيل المشروع الأمريكي، وصحيح أن الانتصار العراقي لم يتم بسبب أخطاء المقاومة العراقية، ومن ثم ظهور ما يسمى بالصحوات وكذلك لأسباب أخرى شديدة التعقيد منها الوضع الإقليمي المهم أن المقاومة العراقية قد عطلت على الأقل المشروع الإمبراطوري الأمريكي الذي كان يستهدف غزو سوريا ولبنان ومصر

وإيران وغيرها عقب إنهاء المسألة العراقية، ولكن تلك المقاومة العراقية بسبب التعقيدات الإقليمية، والطائفية وبسبب أخطاء تلك المقاومة ذاتها لم تنجح في تحويل العراق إلى نقطة وثوب لتحرير العالم كله من الهيمنة الرأسمالية والأمريكية والغربية.

وفي الصومال كان الفشل الأمريكي أيضاً، وقد نجحت المقاومة الصومالية في التصدي للغزو الإثيوبي، ونجحت في إجباره في النهاية لإعلان نيته في الانسحاب من الصومال، الأمر الذي يعني فشل الغزو ومن ثم فشل المشروع الأمريكي في القرن الإفريقي، وصحيح أن القرن الإفريقي يمثل أحد أهم طرق التجارة الدولية، ومن ثم فإن الفشل الأمريكي هناك يعني تعقيدات كبيرة للرأسمالية الدولية، ولكن هذا الأمر يبقى محكوماً بعدد من العوامل المعقدة، إلا أنه كان ذا أثر كبير في زيادة الفشل الأمريكي حول العالم، وفشل الحرب العالمية الرابعة ضد العالم الإسلامي.

في أفغانستان فإن الهزيمة الأمريكية والأطلسية هناك أخطر ما في الأمر، لأن الحرب على أفغانستان أولاً كانت قد حظيت بموافقة أوروبية كاملة وربما عالمية كاملة - في حين أن بعض دول أوروبا كانت قد عارضت الحرب على العراق، وكذلك فإن عنوان الغزو على أفغانستان كان أطلسياً، وبالتالي فإن الهزيمة في أفغانستان ستكون للغرب كل الغرب وليس لأمريكا وحدها، وكذا فإن الرئيس الأمريكي الجديد باراك أوباما، والذي جاءت به المؤسسة الأمريكية لتحدث نوع من غسيل وجه أمريكا، وتصحيح أخطاء إدارة بوش، يعتبر أن الميدان الرئيسي للمعركة الأمريكية على الإرهاب هي في أفغانستان.

ومن ناحية أخرى فإن ممارسات طالبان مع الشعب الأفغاني كانت أخلاقية وعالية المستوى، ولم تقع طالبان في أخطاء المقاومة العراقية حتى الآن، والمقاومة الأفغانية موحدة وتحت قيادة تاريخية ومعروفة وهي الملا عمر، ولا يمكن اعتبار الحزب الإسلامي، أو قلب الدين حكمتيار منافساً

لطالبان في هذا الصدد، فنفوذه قليل، وهو يريد التكامل وليس المنافسة والصراع مع طالبان.

والمقاومة الأفغانية تستند إلى تجمع قومي بشتوني يمتد أيضاً في باكستان وهناك النفوذ الثقافي والسياسي للمقاومة الأفغانية في أكثر من منطقة بالعالم وآسيا بالتحديد، وأكثر تحديداً في باكستان بل إن هناك عمليات مميزة تقوم بها المقاومة الأفغانية داخل باكستان نفسها مثلا تدمير ١٥٠ شاحنة إمداد في يوم و ٥٠ شاحنة في اليوم التالي ديسمبر ٢٠٠٨ وهي عملية هامة لأنها تقطع إمدادات القوات الأمريكية التي تمر عبر باكستان، مما يعقد الوجود الأطلسي في أفغانستان، فضلاً عن أنه من الممكن إفلات السيطرة على باكستان وأفغانستان معاً، مما يجعل تلك المنطقة قاعدة للثورة العالمية على الرأسمالية وأمريكا والغرب، والعالم سيتضامن معها، لأن فكرة العدل وفكرة الثورة على الرأسمالية ورفض الهيمنة الأمريكية هي فكرة موجودة في كل العالم، وفشل الماركسية أو لاهوت التحرير المسيحي في تحقيق ذلك لا يعني نهاية فكرة العدل، بل يعني أن تلك الفكرة ستجد في الإسلام جذراً ثقافياً لها، فيصبح الإسلام دين وأيديولوجية غير المسلمين في الثورة على الرأسمالية، ولعل هذا كان أحد أسباب الخوف الغربي الدائم من الإسلام!! أو تفسير ظاهرة الإسلاموفوبيا في الغرب.

الهزيمة الأمريكية والأطلسية في أفغانستان ستكون ذات نتائج خطيرة ونوعية، إنها هزيمة للحضارة الغربية بكاملها، وهي انقلاب في المنحنى الإسلامي نحو الصعود من جديد، وهي نهاية الرأسمالية وعودة حلم العدل والمساواة في العالم، ولعل تلك الهزيمة وبشائر العالمية الإسلامية الثانية قد ظهرت بالفعل، فمن ناحية فإن الملا عمر زعيم طالبان قد تعهد بشن المزيد من الهجمات على القوات الغازية، وقد كشف المجلس الدولي للأمن والتنمية

في تقرير حديث له، أن طالبان تسيطر على ٧٢ % من أراضي أفغانستان، وأن النسبة قد ارتفعت من ٥٤ % في العام الماضي إلى ٧٢ % في العام الحالي واستند التقرير إلى نسبة هجمات المسلحين على مدار العامين، وأوضح التقرير أن طالبان قد أحكمت الحصار على العاصمة كابول ونشرت قواعد تشن منها هجماتها على المدينة، وبرغم أن المتحدث باسم حلف الناتو علق على التقرير بقوله أن أرقام التقرير ليست صحيحة، وأن طالبان لا تسيطر إلا على حوالي ٥٠ % من أراضي أفغانستان وتحديداً في الجنوب والشرق، فإن الحقيقة أنه سواء كانت نسبة سيطرة طالبان هي ٧٢ % على حد قول التقرير الذي أعده المجلس الدولي للأمن والتنمية أو ٥٠ % على حد تقدير حلف الناتو، فإن زمام المبادرة قد انتقل بالفعل في العامين الأخيرين إلى يد طالبان، وأن الهزيمة الأمريكية في أفغانستان هي تحصيل حاصل بالتالي، وحتى لو زادت أمريكا قواتها هناك كما يريد الرئيس أوباما، فإن الأمر لن يختلف وعلى حد قول الملا عمر زعيم طالبان فإن زيادة القوات تعني اشتعال المعارك في كل مكان وتعني مزيد من الخسائر البشرية للقوات الأمريكية وأن الأمر لا يعدو أن يكون إطالة أمد الحرب شيئاً ما ولكنه لن يغير في النتيجة الأخيرة، وأن الملحمة الأفغانية ستكون ملهماً لكل الشعوب للمقاومة والتحرر.

ولكن من الضروري أن نقول أن ما بعد الهزيمة الأمريكية في أفغانستان يستدعي بالضرورة التحذير من الفتنة بين الأفغانيين أو سكان المنطقة عموماً، حتى لا يتحول النصر الذي حققته المقاومة إلى صراع بين الفصائل والقبائل، فتضيع ثمار النصر، وتضيع فرصة العالم في التخلص من الرأسمالية والهيمنة الأمريكية، وتضيع فرصة العالم الإسلامي في الصعود من جديد.

* * *

## ماذا يريد ليبرمان

مع الأخذ فى الاعتبار أن إسرائيل ليس بها يمين ويسار، فكلها يمين بالطبع، وأن تقسيم القوى السياسية فى إسرائيل، يخضع من وجهة نظرى إلى ذئاب وثعالب، بمعنى أن هناك قوى سياسية إسرائيلية مثل الليكود وإسرائيل بيتنا، وحزب شاس مع كل الاختلافات بينهم، تفضل سياسة القتل المباشر للعرب بدون لف أو دوران على طريقة الذئاب فى القوى الأخرى، فهى تفضل القتل أيضاً، ولكن على طريقة الثعالب، بمعنى اللف والدوران وعدم الإعلان عن النوايا، وبديهى أن النتيجة واحدة بالنسبة لنا، بل ربما كان أسلوب الذئاب هو الأفضل لنا، ذلك أنه لا يدع لنا مجالاً للوهم أو الجرى وراء السراب، بل يستفزون قوى المقاومة لأنه ليس هناك طريق آخر، ويقطع الطريق على المترددين أو المتآمرين عن وعى أو بدون وعى للحديث عن إمكانية العيش بسلام مع الإسرائيليين أو غيرها من الأراجيف المعروفة.

وهكذا فإن هذا التقسيم إذا طبقناه على الوزارة الإسرائيلية الجديدة بقيادة نتانياهو زعيم الليكود فإنها حكومة ذئاب بامتياز، وقد حاول نتانياهو أن يغطيها بورقة توت عن طريق إدخال حزب العمل الإسرائيلى إليها وإعطاء رئيس حزب العمل إيهود باراك حقيبة الدفاع، ولكنه فى الحقيقة جر حزب العمل إلى الذئاب.

ولم ينجح فى تغطية عودة الحكومة اليمينية بورقة حزب العمل، ولا تنسى أن باراك ذاته هو الذى قام بمذبحة غزة منذ شهرين فقط! فيداه لاتزال تمطر دماء، وهو فى تاريخه كان مشهوراً بالإرهاب المباشر مثل عملية بيروت التى قتل فيها بنفسه ثلاثة من قادة منظمة التحرير عام ١٩٧٣.

المسألة بسيطة لأننا أمام حكومة ذئاب واضحة والغاضب الإسرائيلى هو

الذى أتجه إلى خيار الذئاب وهو نوع من التطور الطبيعى لمجتمع يقوم أصلاً على الإرهاب والعنف والاغتصاب، فهذا المجتمع لا يستطيع أن يظل لابساً قناع الثعالب مدة أطول.

وإذا كانت السياسة الخارجية لأى حكومة، هى العنوان الرئيسى لها، فنحن إذن أمام وزير خارجية إسرائيلى هو أفيجدور ليبرمان لا يخفى آراءه المستفزة، فهو من قبل قد أهان الرئيس المصرى، ولم يقبل أن يعتذر عنه الآن، وبصرف النظر عن تأييدنا أو عدم تأييدنا لسياسة الرئيس المصرى، فهو فى هذه الحالة رمز لمصر، ولا يمكن أن نقبل إهانة الرمز أو التجاوز عن هذه الإهانة، وإلا فإننا نفتح الباب بوضوح أمام المزيد من الاستهتار بنا، وهذا الليبرمان هدد يوماً بضرب السد العالى وإغراق مصر كلها بالمياه حتى الدور الرابع فى العاصمة القاهرة على حد قوله!!

وليبرمان الجديد لم يخف تطرفه ولا استفزازه، فهو دعا فى اليوم الأول لحكومة نتانياهو، إلى إلغاء مقررات أنابوليس!! وإلى ضرب غزة وإبادة حماس - وهو لا يستطيع بالطبع - بل إلى عدم الحديث بعد الآن حتى عن حل الدولتين، وإلى ترحيل عرب فلسطين ١٩٤٨ إلى الأردن أو ما يتبقى من الضفة وغزة، وكذا دعا إلى المزيد من الاستيطان، وعندما قالت الإدارة الأمريكية إنها متمسكة بحل الدولتين ومقررات أنابوليس، كان الرد هذه المرة من وزير آخر من حزب شاس الذى قال إن أمريكا لا تستطيع أن تفرض إرادتها علينا ونحن لا نتلقى منها الأوامر، وإسرائيل ليست ولاية أمريكية.

وبديهى أن من الصعب على الرئيس أوباما وإدارته فرض حل الدولتين على إسرائيل نظراً لتغييرات الداخل الأمريكى، ولأن حل الدولتين تقتضى تفكيك الجدار العازل، وإلا كان وهم الدولتين، فدولة فلسطينية متى تمتلك القدر الأدنى من إمكانية الاستمرار يجب أن تكون على كل الأراضى المحتلة

عام ١٩٦٧، وهذا يعنى تفكيك المستوطنات والانسحاب الكامل، وهو أمر لم يعد الرئيس الأردنى قادر على تحقيقه، المتاح هو مجرد معازل للفلسطينيين تحت اسم دولة!!

وهكذا فإننا أمام معضلة حقيقية، فوهم السلام قد تبدد والإدارة الأمريكية أعجز من أن تفعل شيئاً، ونتانياهو يعرض نفس الآراء تقريباً التى يقول بها ليبرمان عن طرد عرب ١٩٤٨، ورفض حل الدولتين والتمسك بالاستيطان وغيرها من الآراء.

ليس أمام العرب إلا أن يتحدوا، أو على الأقل يدعمون حماس والجهاد الفلسطينى لمواجهة إسرائيل، وأن يقوموا بإلغاء المبادرة العربية، أو يقولوا علناً نحن عاجزون عن فعل أى شئ وبالتالى فلن نكلف أنفسنا ما لا نطيق وننسحب من الموضوع بالكامل دون التورط فى الجرى وراء السراب، لعل جيلا آخر أو قوى أخرى تستطيع فى المستقبل الإمساك من جديد ببرنامج المبادرة فلا تقطع على هذا الجيل الطريق

* * *

## مخلفات فى الشوارع

حسناً فعل محافظ القاهرة عبد العظيم وزير، حين قرر صرف مكافأة فورية قيمتها ألف جنيه لمن يضبط سيارة تقوم بإلقاء مخلفات البناء وغيرها فى غير الأماكن المخصصة لها، فى جميع أحياء العاصمة. ووفقاً لكلام السيد المحافظ ذاته فإنه من يضبط عربية كارو تلقى بالمخلفات فى غير الأماكن المخصصة سوف يصرف له مكافأة تصل إلى ٢٥٠ جنيهاً.

وهناك بالطبع فى قرار المحافظ عدد من الإجراءات لا بأس بها، مثل إقامة نقاط أمنية فى الأماكن التى يتكرر فيها إلقاء المخلفات وربط هذه النقاط لاسلكياً، وتوقيع عقوبات على من يفعل ذلك، وتشغيل السيارات التى يتم ضبطها مدة ٣ أشهر فى عمليات رفع وجمع المخلفات والقمامة، وتحصيل مخالفات فورية من ٢٠٠٠ إلى ٥٠٠٠ جنيه، وحرمان قائدها من القيادة عدد ٣ شهور، وتحرير مخالفات بين هؤلاء تصل إلى عشرة آلاف جنيه.

كل هذا جميل، ولكن صدقونى لن تنتهى الظاهرة بهذه الطريقة، فالعقوبات بدون إدارة وإرادة قادرة وحازمة لن تكون طريقاً صحيحاً للقضاء على ظاهرة ما. بداية فإن ظواهر الانفلات فى الشارع المصرى باتت مرعبة، وهى ليست بجديدة بل عمرها عشر سنوات على الأقل، وبالذات موضوع إلقاء المخلفات أمام المدارس وعلى الكبارى العلوية بل وحتى أمام المنازل ليلاً ليستيقظ أهلها وقد وجدوا المخلفات تملأ الشارع أمامهم. وهناك ظاهرة السرقة بالإكراه على ما ينتج عنها أحياناً من جرائم قتل أو طعن بالسكين أو غيرها ولكنها أمور يتم أو لا يتم الإبلاغ عنها ليأس الناس من إمكانية الوصول إلى الجانى، أو خوفاً من انتقام هذا الجانى منهم فيما بعد.

مسألة إلغاء المخلفات أمام المدارس والمستشفيات أى الأماكن التى لا تخص شخص بعينه، أو فوق الكبارى، باتت ظاهرة معروفة فى القاهرة والجيزة وغيرها وهى تتسبب فى اختناق مرورى أو حتى حوادث مروعة، وكذا سرقة غطاء بالوعات

المجارى، وكلها أمور زادت بنسبة خطيرة فى الفترة الأخيرة.

كيف يمكن حل هذه المشكلة؟! لو كان هناك إرادة حقيقية لحل هذه المشاكل وغيرها لأمكن ذلك بسهولة ويسر، أما خطة السيد المحافظ فلنا عليها ملاحظات، منها:

* من الذى سوف يضبط هذه السيارات وخاصة الكارو، ألا يخاف من التعرض للطعن بالسكين أو الانتقام فيما بعد من هؤلاء الجناة.

* هل يمكن وضع نقاط أمنية فى كل مكان - بالطبع لا.

* يبقى أن يشعر المواطن أولاً بأن هناك حكومة تحميه بالفعل، وأنه لو أبلغ عن مخالفة فسوف يتم الاهتمام بالبلاغ بالفعل ويتم حجب اسمه عن الجناة حتى لا ينتقمون منه.

أما الحل الناجح لهذه المشكلة وغيرها، فهو أن السادة المجندين وضباط المباحث يعرفون بالفعل من يقوم بهذه المخالفات. ولو لم يكونوا يعرفون حتى الآن فإن أقل قدر من التحريات سوف يوصلهم إلى معرفة هؤلاء. وأنا لا أدعو مثلا لاستخدام قانون الطوارئ معهم أو اعتقالهم، بل فقط جمعهم والتنبيه عليهم بعدم فعل ذلك، وإلا تعرضوا لعقاب شديد، وأعتقد أنهم لو أحسوا بأن المسألة جادة سوف يمتنعون فوراً، أما تركهم والاعتماد على بلاغات الجمهور، أو تصدى الناس لهم حتى لو كان هناك مكافأة كبيرة أو مفيدة، فإنه حل جزئى ومحدود ولن يوقف الظاهرة.

ولو شعر الضباط والمخبرون فى أقسام الشرطة، أن ذلك يدقق فى تقييم أدائهم، وأن الدولة بالفعل تريد القضاء على هذه الظاهرة وغيرها من الظواهر السلبية، فإن الكثير جداً من المخلفات سوف ينتهى من المنبع، خاصة أن مصر ليس بها حتى الآن عصابات للجريمة المنظمة أو لوبى جنائى أو إجرامى أقوى من الداخلية.

* * *

## مشاكل التعليم

ينبغى بداية قبل أن نفكر فى حل أى مشكلة أن نراعى عدداً من العوامل هى:

* المستهدف من العملية.

* الإمكانيات المتاحة من قوى مادية وبشرية.

* مدى انضباط الإدارة والثواب والعقاب... إلخ.

ومن ثم يمكن تحقيق أفضل نتيجة بناء على الإمكانيات المتاحة، ونضرب على ذلك مثلاً لو أنك تريد امتلاك سيارة وليس لديك إلا حوالى ١٠ آلاف جنيه، الصحيح ألا تفكر فى المرسيدس مثلاً الجديد أو حتى المستعمل بل تفكر فى الفيات المستعمل مثلاً، وليس معنى هذا أن الفيات أفضل من المرسيدس، ولكن هذه هى الإمكانيات.

وإذا أخذنا فى اعتبارنا مثلاً، وقلنا إن تقييم الطالب على عدة سنوات أفضل من تقييمه من خلال عام واحد، فإن هذا صحيح، ولكن إذا أضفنا إلى ذلك أن إمكانيات الدولة ليست كبيرة، والقدرة على الحشد والتنظيم وإدارة الامتحانات محدودة، وأن الأسرة المصرية أصلاً تعانى من ازدحام الشقق وعدم القدرة على إعطاء كل ابن غرفة خاصة به، وكذا ضعف مستوى المعيشة، وكان الهدف هو توصيل التعليم إلى أكبر عدد ممكن من الناس، وليس قصره على الأغنياء فقط، فإنه يعنى هذا أن الامتحان لمرة واحدة أفضل، حيث إن ذلك يريح الأسرة، ويعطى الدولة الفرصة لحشد كل الإمكانيات لتنمية تكافؤ الفرص من خلال امتحان واحد وضبط فى المراقبة والتصحيح، وأن يتم رصد المبالغ التى ستنفق على عدة امتحانات لصالح امتحان واحد.

صحيح أن هناك سلبيات فى هذا الأمر، منها أنه قد يمر من طالب ويضيع عليه الامتحان، ولكن هذا استثناء محدد يقابله إعطاء أغلبية الطلبة الفرصة المتكافئة، وكذلك يجب عدم إجراء امتحانات تكميلية فى القبول بالجامعات، حيث إن هذا يفتح باب الوساطة، ومادامت الأمور غير منضبطة، فإن هذا الإجراء وهو سليم طبعاً

سيتحول إلى مأساة كاملة.

هذا من حيث الامتحانات على عام واحد، أما مشكلة الدروس الخصوصية مثلاً فيمكن حلها ببساطة شديدة، عن طريق إصدار كتاب على هيئة سؤال وجواب به مائة سؤال وجواب أو أكثر أو أقل، وأن يتم الالتزام به - تماماً- فى وضع الامتحان، ومن ثم نعطى الفرصة لمن يريد أن يذاكر أو يقتصر على ذلك، بدون دروس خصوصية، فالامتحان محدد بأسئلة معينة لا يخرج عنها، ومن أراد أن يعتمد على الدروس الخصوصية بعد ذلك فهذا شأنه، وأن يتم كذلك وضع كتابة الأسئلة والأجوبة والأخطاء لأن النماذج التى تصدرها الوزارة مملوءة بالأخطاء من ناحية ولا يلتزم بها - تماماً- واضعو الامتحانات من ناحية أخرى، أكثر من هذا يمكن تشكيل لجنة لكل عام دراسى، ابتدائى أو أعدادى أو ثانوى أو جامعة بكل كلياتها ووضع كتاب آخر للشرح، يلتزم به أعضاء هيئة التدريس ويلتزم به الطالب، ومن ثم تقطع دابر الدروس الخصوصية، وتريح الفقراء، ومن أراد بعد ذلك أن يتوسع ويزيد ويعتمد على الدروس فهذا شأنه ولا بأس بذلك مادام قادراً.

لابد أن نواجه حقيقة أن الأسرة المصرية فقيرة ومطحونة وأن إدارة التعليم ليست على ما يرام، فلا تحلق فى الخيال بحثاً عن وسائل حديثة مكلفة، أو تغيير نظم التعليم باستمرار، ورغم أن هناك عيوبا فى المناهج أو طرق التدريس، إلا أن البديل أسوأ، ليس لأنه شىء، ولكن لأنه خارج إطار إمكانيات الحكومة، والأسرة معاً.

وبصراحة فإن هناك تسربا كاملا فى الثانوية العامة، ولا يحضر الطلاب الدروس، وقد حاولت الوزارة مشكورة التصدى لذلك دون جدوى، وبالتالى يجب الاعتراف بهذه الحقيقة، فطالما فشلت كل الوسائل فى إنهائها، فإن الاعتراف بها أفضل، واقترح إلغاء القانون العام الرسمى وتحويله كله إلى منازل، على أساس أن ذلك يوفر للدولة أموالاً طائلة يمكن أن تدعم بها التعليم الإعدادى والابتدائى، ويمكن زيادة سنوات الإعدادى مثلاً إلى أربعة، وبهذه الطريقة نوفر فصولاً فتحل مشكلة التكدس أو ما يسمى بالفصول الطائرة والفصول التى ليس لها قاعة أصلاً فى

المدرسة، وأن تقتصر على فترة واحدة بدلاً من فترتين، ويمكن زيادة رواتب المعلمين من خلال توفير فصول الثانوى، وكذا تدعيم المدارس بالإمكانيات المطلوبة، مع السماح بمراكز التعليم التابعة للجمعيات الخيرية أو غيرها، ثم فرض ضرائب على التعليم الخاص بكل مراحله لصالح تمويل التعليم الرسمى، وقد يكون الكلام هذا جريئاً أو به قدر من الخيال المبدع، ولكن أرجو من وزارة التربية والتعليم وأجهزة الدولة أن تفكر فى هذا الكلام

يحاول السادة المسئولون أن يدخلوا فى روعنا أن مشكلة التعليم فى مصر مشكلة مستعصية، والحقيقة أن المستعصى على الفهم هو هؤلاء المسئولون الذين لا يريدون أن يبذلوا قدراً من التفكير، إذ لو بذلوا هذا القدر لتم حل مشاكل التعليم وغير التعليم، والحقيقة أن كل المشاكل فى كل المجالات ليست مستعصية، بل هى تحتاج فقط إلى شئ من الإدارة والإرادة معاً!!!

* * *